من ميشيجان إلى واشنطن: تداعيات فوز عبد الرحمن السيد على إسرائيل وأيباك

د/ محمد أحمد صالح

لا يمثل فوز الدكتور عبد الرحمن (عبدول) السيد بترشيح الحزب الديمقراطي لمجلس الشيوخ عن ولاية ميشيجان مجرد نجاح انتخابي لمرشح أمريكي من أصول مصرية، بل يعكس تحولاً متسارعاً في بنية السياسة الأمريكية، ويكشف عن اتساع الفجوة بين القيادة التقليدية للحزب الديمقراطي والتيار التقدمي، كما يعبر عن تغيرات ديموجرافية وجيلية بدأت تؤثر في أولويات الناخب الأمريكي، ولا سيما في القضايا المرتبطة بالسياسة الخارجية.

وتكتسب هذه الانتخابات أهمية استثنائية لأنها تأتي في ظل استمرار تداعيات العدوان على غزة، وتصاعد الجدل داخل الولايات المتحدة بشأن الدعم العسكري الأمريكي لإسرائيل، وعودة الرئيس دونالد ترامب إلى البيت الأبيض بسياسة خارجية تقوم على إعادة ترسيخ التحالف التقليدي مع إسرائيل بوصفه أحد أعمدة استراتيجيته في الشرق الأوسط.

ولا تكمن أهمية عبد الرحمن السيد في أصوله أو خلفيته الشخصية بقدر ما تكمن في طبيعة الخطاب السياسي الذي يتبناه. فهو يمثل أحد أبرز وجوه التيار التقدمي الذي يدعو إلى إعادة النظر في أولويات السياسة الخارجية الأمريكية، وربط المساعدات العسكرية بمعايير القانون الدولي وحقوق الإنسان، وإخضاع جميع الدول، بما فيها إسرائيل، للمعايير ذاتها التي تطبقها الولايات المتحدة على بقية حلفائها. ومن هنا، فإن وصوله المحتمل إلى مجلس الشيوخ لن يكون حدثاً رمزياً فحسب، وإنما قد يشكل محطة جديدة في تطور النقاش الأمريكي حول العلاقة مع إسرائيل، وحدود نفوذ جماعات الضغط، ومستقبل الانقسام داخل الحزب الديمقراطي.

وتزداد أهمية هذا الاحتمال بالنظر إلى موقع مجلس الشيوخ في النظام السياسي الأمريكي. فالسيناتور لا يقتصر دوره على التصويت على القوانين، وإنما يشارك في إقرار المساعدات الخارجية، واعتماد ميزانيات الدفاع، والمصادقة على السفراء وكبار المسؤولين، والانضمام إلى لجان العلاقات الخارجية والقوات المسلحة، فضلاً عن امتلاكه أدوات رقابية مؤثرة مثل جلسات الاستماع واستجواب مسؤولي الإدارة. ولذلك فإن وجود سيناتور يتبنى رؤية مختلفة تجاه إسرائيل يمنحه منصة سياسية وإعلامية وتشريعية أوسع بكثير من تلك التي يمتلكها عضو مجلس النواب، حتى وإن بقيت قدرته على تغيير السياسات مرهونة بتوازنات الكونغرس والإدارة الأمريكية.

التأثير المحتمل على السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل

من هذا المنطلق، تنظر إسرائيل إلى صعود عبد الرحمن السيد بوصفه تحدياً سياسياً أكثر منه تهديداً تشريعياً مباشراً. فمنذ سبعينيات القرن الماضي، قامت العلاقة الأمريكية الإسرائيلية على توافق واسع بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي، بما ضمن استمرار الدعم الأمريكي بغض النظر عن الحزب الحاكم في البيت الأبيض. إلا أن هذا التوافق بدأ يتعرض لاختبارات متزايدة خلال السنوات الأخيرة، خاصة بعد الحرب في غزة، حيث برز داخل الحزب الديمقراطي تيار متنامٍ يرى أن استمرار الدعم العسكري غير المشروط لإسرائيل يتعارض مع مبادئ القانون الدولي وحقوق الإنسان. وإذا تمكن عبد الرحمن السيد من الفوز في انتخابات نوفمبر، فإنه سيضيف صوتاً جديداً إلى هذا التيار، بما قد يسهم في تحويل النقاش داخل الحزب من سؤال يتعلق بضرورة استمرار الدعم إلى نقاش حول شروطه وضوابطه وآليات الرقابة على استخدامه.

ولا يعني ذلك أن إسرائيل ستواجه خطراً فورياً يتمثل في وقف المساعدات العسكرية الأمريكية؛ لأن اتخاذ مثل هذا القرار يتطلب توافقاً معقداً بين مجلسي الشيوخ والنواب والرئيس، وهو أمر لا يستطيع أي سيناتور منفرد فرضه. غير أن التأثير الحقيقي يتمثل في إمكانية إعادة صياغة الخطاب السياسي الأمريكي، بحيث تصبح المساعدات العسكرية موضوعاً دائماً للنقاش والمساءلة، بدلاً من كونها بنداً يحظى بإجماع شبه تلقائي.

كما قد تتزايد المطالب داخل الكونجرس بربط هذه المساعدات بمعايير تتعلق بحماية المدنيين، واحترام القانون الدولي، وتطبيق التشريعات الأمريكية ذات الصلة، وعلى رأسها "قانون ليهي"، الذي يجيز تقييد المساعدات لبعض الجيوش العسكرية الأجنبية في حال توافر أدلة موثوقة على ارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان.

وفي حال وصوله إلى مجلس الشيوخ، لن يكون تأثير عبد الرحمن السيد محصوراً في التصويت على مشاريع القوانين، بل سيمتد إلى استخدام الأدوات الرقابية التي يمتلكها أعضاء المجلس، مثل طلب جلسات الاستماع، واستجواب مسؤولي وزارة الخارجية ووزارة الدفاع، والمطالبة بتقارير دورية حول كيفية استخدام المساعدات العسكرية الأمريكية. وقد يؤدي ذلك إلى زيادة الضغوط السياسية والإعلامية على الإدارات الأمريكية المتعاقبة، وإبقاء ملف المساعدات لإسرائيل حاضراً بصورة دائمة في النقاش العام، حتى لو لم ينجح في إحداث تغيير تشريعي مباشر.

أيباك بين الحفاظ على النفوذ وتراجع الردع السياسي

يبرز في هذا السياق الدور الذي تؤديه لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك) بوصفها إحدى أبرز جماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل في الولايات المتحدة. فاعتراضها على عبد الرحمن السيد لا يرتبط بأصوله العربية أو المصرية أو انتمائه الديني كمسلم، وإنما بمواقفه السياسية المعلنة التي تدعو إلى تقليص نفوذ المال السياسي، وإصلاح نظام تمويل الحملات الانتخابية، وربط المساعدات العسكرية بالقانون الدولي، وإنهاء فكرة الاستثناء التي تتمتع بها إسرائيل في بعض جوانب النقاش السياسي الأمريكي.

ولهذا السبب، شهدت الانتخابات التمهيدية إنفاقاً انتخابياً استثنائياً من جماعات مؤيدة لإسرائيل دعماً لمنافسته، في محاولة لمنع وصول مرشح يمثل هذا التوجه إلى مجلس الشيوخ. ويعكس ذلك إدراك هذه الجماعات أن الخطر الحقيقي لا يكمن في قدرة السيناتور على تغيير السياسة الأمريكية منفرداً، وإنما في قدرته على إعادة تشكيل النقاش السياسي داخل الحزب الديمقراطي.

فإذا نجح عبد الرحمن السيد في الانتخابات العامة، فإن الرسالة التي ستصل إلى المرشحين الديمقراطيين ستكون أن مواجهة جماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل لم تعد تعني بالضرورة نهاية المسيرة السياسية، وأن الفوز أصبح ممكناً حتى في ظل حملات إنفاق ضخمة ضده. وقد يشجع ذلك شخصيات تقدمية أخرى على تبني مواقف أكثر استقلالية تجاه إسرائيل، الأمر الذي قد يحد تدريجياً من الأثر الرادع الذي مارسته أيباك لعقود داخل الحزب الديمقراطي.

ومع ذلك، فإن الحديث عن تراجع جذري لنفوذ أيباك يبقى مبالغاً فيه، إذ ما تزال تمتلك شبكة واسعة من العلاقات السياسية، وقدرات مالية وتنظيمية كبيرة، وتأثيراً مهماً في تمويل الحملات الانتخابية وصناعة القرار داخل الحزبين. ولذلك فإن التغيير المتوقع يتعلق باتساع مساحة الجدل حول العلاقة مع إسرائيل، وليس بانتهاء نفوذ جماعات الضغط المؤيدة لها.

إدارة ترامب واستثمار الصعود التقدمي

من المرجح أن تنظر إدارة الرئيس دونالد ترامب إلى صعود عبد الرحمن السيد باعتباره فرصة سياسية بقدر ما هو تحدٍ تشريعي. فمنذ ولايته الأولى، عمل ترامب على ترسيخ صورته بوصفه الرئيس الأكثر دعماً لإسرائيل، مستنداً إلى تحالف انتخابي يضم المحافظين والإنجيليين والقطاعات التقليدية المؤيدة لإسرائيل.

ومن ثم، قد يستخدم ترامب فوز السيد لتعزيز روايته بأن الحزب الديمقراطي بات يتجه بصورة متزايدة نحو اليسار، وأن التيار التقدمي أصبح أكثر استعداداً لإعادة النظر في الدعم التقليدي لإسرائيل. وقد يتحول وجود عبد الرحمن السيد داخل مجلس الشيوخ إلى ورقة سياسية يوظفها الجمهوريون في الحملات الانتخابية باعتبارها دليلاً على التحول الأيديولوجي داخل الحزب الديمقراطي.

لكن، في المقابل، ستظل قدرة السيد على تغيير سياسات إدارة ترامب محدودة؛ لأن الرئيس الأمريكي يحتفظ بصلاحيات واسعة في إدارة السياسة الخارجية، كما أن أي تعديل جوهري في المساعدات أو العلاقات

الثنائية يتطلب توافقاً بين مجلسي الكونجرس والإدارة. غير أن استخدام أدوات الرقابة البرلمانية قد يزيد الكلفة السياسية على الإدارة، ويجعل قراراتها المتعلقة بإسرائيل عرضة لمستوى أعلى من التدقيق والمساءلة.

معركة الرواية واحتمالات اتهامات معاداة السامية

من المرجح أيضاً أن ينتقل الجدل إلى مستوى الخطاب السياسي والإعلامي، حيث قد يحاول بعض خصوم عبد الرحمن السيد تصوير انتقاداته لسياسات الحكومة الإسرائيلية أو لنفوذ جماعات الضغط باعتبارها شكلاً من أشكال معاداة السامية، وهي قضية أصبحت من أكثر القضايا حساسية في الحياة السياسية الأمريكية.

إلا أن السيد يسعى إلى تحصين مواقفه عبر التأكيد على أنه لا يعارض اليهود أو الديانة اليهودية، وإنما ينتقد سياسات الحكومات وآليات عمل جماعات الضغط، كما يؤكد باستمرار أن مطالبه تقوم على تطبيق القانون الأمريكي والمعايير الدولية على جميع الدول دون استثناء، بما فيها إسرائيل. ويمنحه هذا الطرح أساساً قانونياً وسياسياً أكثر قوة، حتى وإن ظل محل خلاف بين القوى السياسية المختلفة.

ومن المرجح أن تشكل هذه القضية أحد أبرز محاور المواجهة السياسية في حال فوزه، إذ سيحاول خصومه ربط انتقاداته لإسرائيل بخطاب معاداة السامية، في حين سيحرص هو وأنصاره على الفصل بين نقد السياسات الحكومية وبين أي موقف عدائي تجاه اليهود، وهو التمييز الذي أصبح محوراً أساسياً في الجدل الأمريكي المعاصر.

انعكاسات الفوز على مستقبل الحزب الديمقراطي

تتجاوز دلالات هذه الانتخابات شخص عبد الرحمن السيد لتطرح سؤالاً أوسع يتعلق بمستقبل الحزب الديمقراطي نفسه. فإذا نجح مرشح تقدمي يحمل هذا الخطاب في الفوز بولاية متأرجحة مثل ميشيجان، فقد يمثل ذلك دليلاً على قدرة الجناح التقدمي على تحقيق الانتصارات الانتخابية دون التخلي عن مواقفه المتعلقة بحقوق الإنسان والسياسة الخارجية.

ومن شأن هذا السيناريو أن يعزز موقع التيار التقدمي داخل الحزب، ويدفع مزيداً من المرشحين إلى تبني مواقف أكثر استقلالية تجاه إسرائيل في الانتخابات المقبلة، بما في ذلك انتخابات التجديد النصفي وانتخابات عام ٢٠٢٨م. أما إذا خسر الانتخابات العامة، فقد تستغل القيادة التقليدية للحزب هذه النتيجة للدفاع عن العودة إلى الخطاب الوسطي، والقول إن المواقف الأكثر تشدداً تجاه إسرائيل لا تحقق النجاح في الولايات المتأرجحة.

ختاما: تحول في النقاش أكثر من تحول في السياسة

في المحصلة، لا تكمن الأهمية الاستراتيجية لفوز عبد الرحمن السيد في قدرته على تغيير السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل بصورة مباشرة، وإنما في إمكانية مساهمته في إعادة تشكيل النقاش السياسي داخل واشنطن حول طبيعة العلاقة الأمريكية الإسرائيلية، وحدود نفوذ جماعات الضغط، وربط المساعدات العسكرية بمعايير القانون الدولي وحقوق الإنسان.

كما أن هذا الفوز، إذا تحقق، سيأتي في توقيت بالغ الحساسية يتزامن مع إدارة جمهورية بقيادة دونالد ترامب، وانقسام داخلي متزايد داخل الحزب الديمقراطي، واستمرار تداعيات الحرب في غزة، الأمر الذي قد يجعل مقعداً واحداً في مجلس الشيوخ نقطة انطلاق لتحولات سياسية وفكرية تتجاوز حدود ولاية ميشيجان، لتطال مستقبل السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وتعيد رسم حدود النقاش حول العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل خلال السنوات المقبلة.